بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، المَخْصُوصُ بِالنِّعَمِ وَالآلاءِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُهْتَدِينَ الأَتْقِياءِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَأَحْسِنُوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[١].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

تَدَبَّرُوا تَدَبُّرَ مُحِبٍّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَ رَبِّهِ فِي صِفَتِهِ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[٢]، فَإِنَّهَا شَهَادَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[٣]، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ بَيَانًا لِعَظِيمِ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ لَنَا، بَلْ لَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ يُحِبُّ الخَيْرَ لِلنَّاسِ كَرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ((مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))، وَهَلْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقْتَرِبَ الإِنْسَانُ مِنَ الجَنَّةِ وَيَتَزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ! وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[٤]، نَعَمْ ﴿ فَقَدْ فَازَ ﴾[٥]، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُرِيدُ لَنَا الفَوْزَ العَظِيمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الحِرْصُ الَّذِي وَصَفَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، حَتَّى إِنَّهُ ﷺ يَكَادُ يَبْخَعُ نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ تَحَسُّرِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ رَبُّهُ جَلَّ جَلالُهُ بِذَلِكَ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الكِتَابِ العَزِيزِ، يَقُولُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٦]، وَقَالَ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ

(١) سورة النحل/ ١٢٨.
(٢) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٣) سورة النساء/ ١٢٢.
(٤) سورة آل عمران/ ١٨٥ .
(٥) سورة آل عمران/ ١٨٥ .
(٦) سورة الكهف/ ٦ .

مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وَ((بَاخِعٌ نَفْسَكَ)) – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَيْ مُهْلِكٌ نَفْسَكَ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِكَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَهُمْ لا يَهْتَدُونَ، وَقَدْ أَرَادَ اللهُ بِذِكْرِ هَذَا الأَمْرِ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا عَظِيمَ حِرْصِهِ عَلَيْنَا، وَكَبِيرَ حُبِّهِ لَنَا، وَدَرَجَةَ إِحْسَانِهِ إِلَيْنا؛ فَكَيْفَ بِذِي فِطْرَةٍ سَوِيَّةٍ لا يُحِبُّ إِنْسَانًا يَحْرِصُ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا الحِرْصِ، وَيُحِبُّ لَهُ الخَيْرَ كُلَّ هَذَا الحُبِّ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ كُلَّ هَذَا الإِحْسَانِ، وَقَدْ سَرَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْه، وَأَرَادَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2]، وَمِنْ عَظِيمِ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ لَهُمْ أَنْ يَرْتَفِعُوا مِنْ دَرَجَتِهِمْ تِلْكَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى، وَمِنْ مَقَامِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الهِدَايَةِ إِلَى مَقَامٍ أَرْفَعَ؛ لِيَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَقَدْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ، أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3]، وَيَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[4].

وَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ ﷺ حِرْصَهُ عَلَى ارْتِقَاءِ أَهْلِ الإِيمَانِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي ذِكْرِهِ لَنَا رُؤْيَا رَآهَا، فَكَانَتْ ضَرْبَ مَثَلٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا يُقَرِّبُ المَعْنَى إِلَيْهِمْ، وَيُجَلِّي الحَقِيقَةَ لَهُمْ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ مَلَكَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَالآخَرُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: اضْرِبْ مَثَلَ هَذَا وَمَثَلَ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مَثَلَهُ وَمَثَلَ أُمَّتِهِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، انْتَهَوْا إِلَى رَأْسِ مَفَازَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ مَا يَقْطَعُونَ بِهِ الْمَفَازَةَ، وَلا مَا يَرْجِعُونَ بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ حِبَرَةٍ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً، وَحِيَاضًا رِوَاءً، أَتَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَانْطَلَقَ بِهِمْ، فَأَوْرَدَهُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً، وَحِيَاضًا رِوَاءً، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَسَمِنُوا، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَمْ أَلْقَكُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ،

(١) سورة الشعراء/ ٣.
(٢) سورة القصص/ ٥٦.
(٣) سورة الأنفال/ ٢ - ٤.
(٤) سورة محمد/ ١٧.

فَجَعَلْتُمْ لِي إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً، وَحِيَاضًا رِوَاءً، أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ رِيَاضًا أَعْشَبَ مِنْ هَذِهِ، وَحِيَاضًا هِيَ أَرْوَى مِنْ هَذِهِ، فَاتَّبِعُونِي. قالَ: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: صَدَقَ وَاللهِ، لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: قَدْ رَضِينَا بِهَذَا نُقِيمُ عَلَيْهِ))، فَأَيُّ حِرْصٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الحِرْصِ! وَأَيُّ مَحَبَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الخَيْرَ لِلنَّاسِ.

أَقولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ تَتَبُّعَهُ شُؤُونَ أَتْبَاعِهِ؛ فَتَجِدُهُ يُوَاسِي المَحْزُونَ، وَيُعِينُ المُحْتَاجَ، وَيُفَرِّجُ عَنِ المَكْرُوبِ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَيُوَقِّرُ الكَبِيرَ، وَتَجِدُهُ مَعَ النَّاسِ فِي أَفْرَاحِهِمْ وَأَحْزَانِهِمْ، وَشُؤُونِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ؛ لِيَضْرِبَ بِذَلِكَ مَثَلًا لِلنَّاسِ، وَيَكُونَ لَهُمُ الأُسْوَةَ الحَسَنَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتِلْكَ تَرْبِيَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ، وَقَدْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ قَبْلَ بِعْثَتِهِ، وَازْدَادَ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانٍ، وَحِرْصًا إِلَى حِرْصٍ بَعْدَ بِعْثَتِهِ؛ أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي قَالَتْ عَنْهُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ عِنْدَمَا جَاءَهَا بَعْدَ نُزُولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ: ((وَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[1]، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنَ الخُلُقِ العَظِيمِ الَّذِي وَصَفَهُ بِهِ مَنْ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ بِقَولِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] .

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ

(١) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٢) سورة القلم/ ٤.
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.

وَعَلَى آلِ نَبِيّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.